الفكر الغربي وأثره على الهوية الثقافية

د.عبد المجيد التقاز
كلية الآداب جامعة الزاوية

ملخص :

نحاول من خلال هذه الدراسة البحث في موضوع الفكر الغربي وأثره على الهوية الثقافية، من خلال البعد الثقافي للعولمة، والذي يعد من اخطر ابعادها حيث إنه يعنى باشاعة القيم والمبادء والمعايير ذات الثقافة الواحدة ، وإحلالها محل الثقافات الآخرى بذريعة التحضر .

واعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي، والذي يتعرف بواسطته على غلأجزاء التي لايمكن فهمها إلا باخراجها من الكل، أي نستطيع تحليل العناصر الأساسية لهذه الافكار أو الفلسفات الغربية.

وتهدف هذه الدراسة لرصد مخاطر العولمة الثقافية التي تعمل على تهميش الهوية وتدمير الثقافة الوطنية ، خاصة الثقافة العربية والايديولوجية الإسلامية .

المقدمة

نحاول من خلال هذه الدراسة البحث في موضوع الفكر الغربي وأثره على الهوية الثقافية ، من خلال علاقتها بالعولمة . إذ يعد البعد الثقافي الهوياتي للعولمة من أخطر ابعاد العولمة ، فهو يعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير ثقافية واحدة وإحلالها محل الثقافات الأخرى ، مما يعنى تلاشي القيم والثقافات القومية واستبدالها بقيم وثقافات البلدان الأكثر تقدما وتحضرا ، وتهدف هذه الدراسة لرصد مخاطر العولمة الثقافية التي تعمل على تهميش الهوية وتدمير القفافة الوطنية خاصة الثقافة العربية والايديولوجية الإسلامية .

وعلى ذلك ، حاولنا استعراض مجموعة إتجاهات ونظريات فلسفية معبرة عن الفكر الغربي مثل الماركسية والوجودية والراسمالية وغيرها .والتي كان لها دور كبير في تغيير أنماط سلوكيات الأفراد .

اعتمدنا في ذلك على اتباع المنهج الوصفي التحليلي والذي نتعرف بواسطته على الإجزاء التي يمكن لا يمكن فهمها إلا باخراجها من الكل ، ثم استخدمنا امنهج المقارن ، فالمقارنة

في العلوم الإنسانية ، بمثابة الملاحظة والتجربة في العلوم التطبيقية . والهدف هو إبراز التأثير الكبير للافكار الفلسفية الغربية في مجتمعاتنا وبين شبابنا ، وانعكاسها على سلوكيات الأفراد السلبية .

أولاً: الفكر الغربي .

لا شك أن الفكر الغربي له خصوصيته ، ومن الطبيعي أنه يختلف مع العالم الإسلامي في مدنيته وتقاليده وتراثه العلمي ، ويرجع هذا الاختلاف إلى الفترة التي بدأت فيها أوروبا عصر النهضة ، وأذعنت لدعوة الأحرار من مفكريها ، فانفصلت عن الكنيسة (العولمة) ، وأندفعت في هذا الطريق الذي جعلها تبتعد عن المدنية والحضارة الشرقية شيأ فشيئاً . ولقد عل مفكروا الغرب يمعنون في توسيع الهوة بين الحضارتين ، فاعلنوا جحودهم للروحانيات ، وأنكروا كل ما لا يعرفون سببه الظاهري ، ونادوا باستقلال العلوم التجريبية عن الدين ، وقرروا أن كل ما لا يخضع للتجربة غير ثابت ، ولا جدير بالتصديق .

وقال بعضهم : " إذا وضعتم الإله والروح على مشرحة ، وصوبتم إليهم الميكروسكوب ، فانا مستعد للإيمان بهما "[1] ، واعلنوا أن العقل البشري معتمد على الحواس هو وحده الوسيلة للمعرفة ، وإن هذه هي ميزات الروح الغربية التي يسودها العلم التجريبي سيادة تامة ، حيث انتشرت انتشار واسع ، وسلط الغرب أفكاره على العالم كله ، ومنها العالم الشرقي ، الذي بدأت تتغلغل في مجتمعاته وبيئاته .

1 _ نظرية داروين 1809-1882 .

وهو عالم بريطاني شهير ، له نظريات علمية من أهمها نظرية النشوء والارتقاء وخلاصتها : "أن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر هذه الأرض بجرثومه أو جراثيم قليلة تطورت من حال إلى حال تحت تأثير عوامل طبيعية حتى وصلت إلى هذه التنوعات التي نراها وعلى رأسها الإنسان"[2] .

وعلى هذا فأن الإنسان عندهم بدأت حياته على ظهر الأرض جرثومة صغيرة تحولت إلى حيوان صغير ، ثم تدرج هذا الحيوان وأرتقى إلى حياة حيوانية بدائية .فإلى حيوانات أكبر فأكبر ، ثم تحولت إلى ذوات فقرات ، ثم كانت نهاية هدا الطور إنسان أول لا يعقل ولا يدرك

ولا يتكلم ، ثم إنسانا كاملاً، وهو المشهود اليوم بعقله وتفكيره وإدراكه . ويقولون أن هذه التحولات والتطورات والترقيات جاءت بعد صراع مرير بين هده الكائنات وعوامل الطبيعة وتقلباتها ، وبين نفس هذه الكائنات الحية بعضها مع بعض عبر الآف السنين من أجل البقاء[3] .

وإذا ما حاولنا دحض هذه النظرية ، فإن الأستاذ نديم الجسر يقول : "أن الحيوانات البحرية الدنيا هي باقية حتى اليوم ، على الحالة التي كانت عليها في أبتداء العالم ولم نجد إنها تأثرت بناموس الآرتقاء "[4].

وقد حاول دارون في كتابه (أصل الأنواع) أن يبين أن أنواع الأحياء كلها ترجع إلى أصل واحد أو عدة أصول أوجدها الخالق وإن الحياة سر يعجز كل البشر عن معرفته . معنى ذلك أن دارون قد اعترف بدون إن يدري بإن لهذا الكون خالقاً بل لقد صرح دارون نفسه بإن بحوثه الخاصة بنظرية التطور والإرتقاء لا تستهدف الدعوة إلى إنكار الخالق ، وليس فيها أي خطر على الدين[5] .

والمهم في هذه النظرية ، أنها اتخذت أساساً للمذاهب المادية المختلفة ، والفلسفات التي سادت الغرب بعد ذلك ، فقد استندت عليها الشيوعية وكذلك استند عليها فرويد في نظريته إلى غير ذلك من المذاهب الأخرى .

2 – نظرية فرويد 1856–1938 .

أثرت نظرية فرويد في الجنس تأثيرا كبيراً في الحياة الإجتماعية في أوروبا وكذلك في الشرق ، وتمثلت في التفسير الجنسي لمختلف نواحي سلوك الإنسان ،وترجع خطورة هذه النظرية إلى إصرار فرويد في زج الجنس في كل مجالات النشاط الحيوي للإنسان .

تعتبر المراحل الجنسية النفسية في تكوين الشخصية من أهم النقاط في نظرية التحليل النفسي التي وضعها فرويد . حيث آمن فرويد بإن الحياة تدور حول التوتر واللذة ، وأن التوتر الذي يعاني منه الشخص خلال مراحل حياته سببه زيادة في الطاقة الجنسية ، وأن الشعور باللذة ينتج عن تفريغ هذه الطاقة .

ولا شك بإن فرويد تأثر بدارون ، حين تابعه بقوله في أن غرائز الإنسان هي الامتداد الطبيعي لغرائز الحيوانات السابقة في سلم الصعود مضافاً إليها قدر من التطور ، وفي ناحية أخرى ، وافق دارون في النظر للإنسان على إنه مخلوق أرضي عالمه كله محصور في هذا النطاق الضيق الغريب [6] .

هذه الآراء المادية التي نادى بها فرويد ، وأتخذها الغرب واعتقدوا فيها ، وبذلك أخرجوا الإنسان من وضعه الكريم ، وجعلوه في صورة بهيمية حيوانية يلهث وراء شهواته بدون ضابط ، فيعيش الإنسان في مجتمع الغابة . وبهذا ينكرون القيم العليا ويستبيحون الفوضى الجنسية . فلا بد إذن أن يكون هذا كله هو الدمار الحقيقي للإنسان والإنسانية .

3- نظرية هيجل 1770- 1831

ظهرت الفلسفة الحديثة ، والثقافة في نظر هيجل عناصر مشحونة بالتناقضات والتوترات ، كما هي الحال بالنسبة للتناقضات بين موضوع وذات المعرفة ، بين العقل والطبيعة ، بين الذات والآخر ، ...ألخ

كان مشروع هيجل الفلسفي الرئيسي هو أن يأخذ هذه التناقضات والتوترات ويضعها في سياق وحدة عقلانية شاملة ، ذكر ذلك في سياقات مختلفة دعاها (الفكرة المطلقة أو المعرفة المطلقة) .

يعتبر الفيلسوف هيجل أهم مؤسسي المثالية الإلمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي . طور المنهج الجدلى الذي اثبت من خلاله أن سير التاريخ والإفكار يتم بوجود الأطروحة ثم نقيضها ثم التوليف بينهما ، كان هيجل أخر بناة (المشاريع الفلسفية الكبرى في العصر الحديث حيث كان لفلسفته أثر عميق على معظم الفلسفات المعاصرة ، فمثلاً كارل ماركس بنى تفسيره المادي للتاريخ فيما بعد هيجل [7] .

وخلاصة فلسفة هيجل للتاريخ : " أن ما يحصل في الحضارة الإنسانية من تطور وإرتقاء ، إنما يحصل بظهور الاضداد وتناطحها وتمازجها فيما بينها . وأن كل دور من إدوار التاريخ في حد ذاته وحدة وأو كائن جسدي حي . وأن مختلف نظريات الإنسان من سياسية

واقتصادية ومدنية وخلقية وعلمية وعقلية ودينية تكون على مستوى معين في ذلك الدور ، ويكون بينها التناسب والتلائم والوحدة المتماسكة .

أن المبادئ والنظريات والأفكار الإنسانية التي تقوم بالتوجيه في هذا الدور عندما تتصل بالحضارة الإنسانية ومدنيتها إلى قمة الطاقة والصلاحية ينبثق من حضن هذا الدور نفسه عدوه الذي يترعرع فيه .ويبلغ أشده أي أن طائفة أخرى من الأفكار والميول والنظريات والمبادئ الحديثة لا تتولد إلا من المقتضى الطبيعي لهذا الدور الأخذ في الزوال نفسه ، ثم تسرع في محاربة الأفكار البالية القديمة ويستمر الصراع على قدم وساق بين القديم والجديد إلى مدة من الزمان ، وفي النهاية يحصل التمازج بينهما بعد الآخذ والرد ن وتخرج إلى حيز الوجود حضارة عصرية جديدة خليط من عناصر قديمة وأخرى جديدة ، وهكذا يفاتح الدنيا دور جديد من أدوار التاريخ "[8] .

فالعملية الجدلية هذه محلية أجتماعية كلية يتمثل فيها الفرد بأنه قطعة من قطع البيدق في لعبة الشطرنج .ومعنى ذلك أنهم نفوا عن الإنسان الإرادة والعقل التي خص الله بها الإنسان عن بقية مخلوقاته ، ورفعه عن مرتبة الحيوان ، وأنه دعى إلى إعماله دائما للتفكير والتدبر لمعرفة عظمة الله عز وجل وقدرته ونعمه على عباده للتمييز بين الخير والشر[9] .

وعلى ذلك ترجع خطورة هذه الفلسفة على المدنية الحديثة إلى إنها لا تعترف بالحضارات القديمة ، ولا يعترفون بإدوار الأنبياء والرسل . ومعنى ذلك أنه كل ما تغير اسلوب انتاج وتوزيع اسباب المعيشة للإنسان ، فلابد أن يصاحبه التغير الشامل في الدين والأخلاق والقانون . وهذا لا يتفق بكل تأكيد مع ما جاءت به الشرائع السماوية .

4- الوجودية .

الوجودية مذهب أو اتجاه فكري يُعنى بالبحث في الوجود الإنساني ، أي أن أساس الوجود الإنساني هو ما يفعله ، بمعنى أن أفعاله هي التي تحدد وجوده كما قال سارتر: أنا موجود فإنا أفكر ، على عكس ما قاله ديكارت أنا أفكر فأنا موجود .

الفلسفة الوجودية هي فلسفة الذات الإنسانية المتفردة دون ارتباط بغيرها من الذوات . ومن اهم من نادى بالفلسفة الوجودية في الغرب كيركجارد هيدجر سارتر .

الوجوديون لا يقيمون وزناً للقيم التي تربط الأفراد بالمجتمع ، ولا يحفلون بما يوحى به العقل ، والعبرة عند الوجودي الأصيل بالتجربة الشخصية والمعاناة الذاتية .

ومن هنا تنشأ فكرة اللادينية ، إذ الوجودي لا يعترف بشيْ غير مرئي وغير محسوس ، فالقواعد والتقاليد والنظم والأديان هي أفكار مثالية وتشريعات وتوجيهات لم يضعها الوجودي ولم يساهم في وضعها . وبالتالي لا يعترف بها[10] .

فالوجودية ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وأصبحت ذات نفوذ كبير بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ ساد المجتمع بين الحربين العالميتين شعور عميق باليأس والاحباط بسبب الأحداث المروعة التي حصلت في أثنائهما . والتي ادت إلى معاناة النفس الإنسانية وعدم اليقين بشأن الوجود البشري ، وشعور بالقلق والاكتئاب .

في مثل هذا العالم الفوضوي ، ركزت الوجودية على مسألة الوجود الإنساني وفهم جوهرها ، وأن للإنسان كامل الإرادة في إتخاذ قراراته العقلانية في عالم غير عقلاني . جعلت الإنسان يلجأ إلى استكشاف قيم ومعان جديدة في الحياة .

ساهم العديد من الكتاب في تطور وازدهار الفلسفة الوجودية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وقد بدأت تنتشر أفكارها في صور أدبية وفي قصص ومسرحيات ، وروايات عالمية ، من أهمها ما كتبه سارتر والبير كامو وغيرهما ، وانتشرت هذه الأفكار التي تدعو إلى الحرية المطلقة دون قيد أو شرط لتحقيق رغبات وأهواء شخصية ذاتية فانتشرت في الشرق كما هو في الغرب

5 – الماركسية :

تعد الفلسفة الماركسية أكثر الفلسفات الحديثة والمعاصرة ذات الصلة بالفلسفة الوجودية . فالمادية الجدلية هي الفلسفة التي وضعها كل من ماركس وانجلز من أجل تغيير العالم ومصير الإنسان فيه والمقصود بالمادية من وجهةنظر انجلز: الفلسفة التي تتخلى عن كل المثاليات التي لا تنسجم مع الواقع وهي الفلسفة التي تنظر إلى الطبيعة على أنها الأسبق على الوعي أو الروح . أما النظرية التطورية الجدلية للكون ، فكانت تقوم على أساس أن كل شي في الكون يتغير ، وليس هناك شيء ثابت[11] . على الرغم من أن مصطلح الشيوعية

قد يشير إلى أحزاب سياسية معينة ، لكن في الجوهر ، فالشيوعية هي إيديولوجية سياسية واقتصادية تهدف إلى تحقيق المساواة الاقتصادية والمعيشية من خلال القضاء على الملكية الخاصة ، وتعتبر هذه الشوعية مرحلة معينة من مراحل التطور التاريخي الذي يخرج حتماً من تطور القوات المنتجة . وفق لمنظور الفيلسوف كارل ماركس .

ففي القرن العشرين ، الذي شهد تنافساً حادا بين الدول التي ادعت أتباعها لهذه النظرية حيث نشأت الشيوعية نظرية سياسية تبنتها بعض الدول ، فأصبحت قوة مؤثرة في صنع القرار وتوجيه الحركات الثقافية في أنحاء العالم . والشيوعيون من الأفراد والأحزاب هم المتبنيين لهذه النظريات والحركات الاجتماعية والاقتصادية الساعية للوصول لذلك النظام الاجتماعي . في سياق الحرب الباردة يشير مصطلح كتلة شيوعية إلى كتلة جيوسياسية هيمنت على الاتحاد السوفيتي سابقاً وغلب عليها الحزب الواحد الشمولي .

نشأت الشيوعية كنظرية سياسية في نهاية القرن التاسع عشر ضمن الفكر الاشتراكي ، مستنداً على الفلسفة الماركسية ، والتي ترى في الاقتصاد أو المادة هو المحرك للمجتمع في تغيره للأفراد في تطورهم الفعلي ، وفي التأثير في مجرى حياتهم ، كما تأخذ من أحداث التاريخ في ماضيه دليلاً على هذا الربط بين التغير الاجتماعي والوضع الاقتصادي مصدراً أيضا للتنيوء ، أو الحتمية كما يذكر (ماركس) بما سيكون عليه المجتمع الإنساني في غده تبعا للتغير الاقتصادي[12] .

وبالرغم من أن الشيوعية مرحلة معينة من مراحل التطور التاريخي ، إلا أن كثيراً ما يحدث الخلط بينها وبين الاشتراكية* في الخطاب السياسي العام . وقد عملت الماركسية على تحقيق أهدافها بالوسائل التالية:

1: الملكية الجماعية لوسائل الانتاج الثلاث الأرض – رأس المال– العمل وتحرير الملكية الخاصة لهذه الوسائل .

2: محاربة الفردية بجميع خصائصها وعدم الاعتراف بها في النظام الجماعي .

3: تبنب الصراع بين الطبقات كوسيلة للتطبيق الاشتراكي كما قال ماركس (يا عمال العالم اتحدوا) .

4: العمل على تغيير العالم بجميع نظمه ، وذلك لتدمير الأنظمة القائمة باعتبارها انظمة رجعية[13] .

وقد حمل لواء الشيوعية الماركسية هذه ، الثورة الروسية التي قامت في أعقاب الحرب العالمية الأولى 1917 . وجاءت الحرب العالمية الثانية وحصل الروس على نصر عسكري وسياسي كبيرين ولذلك قوت الشيوعية بكل الطرق محاولين أبعاد المجتمعات عن معتقداتهم مستخدمين كافة أنواع الدعاية والاعلام مؤثرين في كل الأنظمة الاجتماعية[14] .

ومن خلال هذه الطرق استطاعت الشيوعية أن تتسلل إلى مجتمعاتنا وتجد انصاراً لها في بعض طبقات المثقفين الذين اغرتهم الدعاية والإعلام .

6- الرأسمالية الغربية :

ظهرت الرأسمالية في أوروبا عقب الثورة الصناعية التي بدأت في القرن الثامن عشر ، وقام هذا النظام الرأسمالي على أساس أطلاق العنان لنشاط الفرد (دعه يعمل دعه يمر) كما قال آدم سميث .

برزت هذه الاتجاهات في المجال الاقتصادي ، إذ ترك كل شيئ في هذا المجال لنشاط الأفراد ولرغباتهم ومصالحهم ، دون أي اعتبار للمجتمع أو الأخلاق أو لأي اعتبارات أخرى يمكن أن تحد من الحرية الفردية . والرأسمالية هي نظام اقتصادي يقوم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وخلق السلع والخدمات من أجل الربح . تشمل الخصائص الرئيسية للرأسمالية الملكية الخاصة، وتراكم رأس المال ، والعمل المأجور والأسواق التنافسية .

بالإضافة إلى ظهور الطبقية ، وتوسيع الشروخ بين الأغنياء والفقراء ، واستغلال العمال من أجل الربح ، وارتفاع مستويات البطالة . ومن نتائج هذه الرأسمالية والثورة الصناعية ، فقد أدت إلى اقصاء الآلة نهائياً

على العمل اليدوي في الصناعات .

وتبعاً لذلك ، أصبح رأس مال الصناعة ، ويتبعه رأس مال التجارة ورأس مال الخدمات المالية في يد قلة من اصحاب رؤس الاموال ، وبالتالي تجمعت لديهم الأرباح الواسعة في

استعمار القارتين الأفريقية والآسيوية ، وفي تسخير المواطنين فيهما في خدمة الصناعة الغربية [15].

أن مشكلة النظام الرأسمالي لا تتمثل فقط في المظهر الخارجي البارز الذي يوجه إليه النقد ، وإنما يتمثل في تسخير الشعوب بالحكومات ، وهي طبقة مستترة وراء أكداس من النظريات الاقتصادية ووسائل الدعاية والتمويه ، ويصاحب هذا النظام ايضا الأنحلال الأخلاقي ، تحت تأثير النظريات مختلفة الاتجاهات ، مثل حرية الفرد أو مادية الكون .

ومن المعروف أن هويتنا الثقافية قد تعرضت لموجات فكرية غربية من خلال موجة الاستعمار الذي يتلاعب بمصائر الشعوب ويختار حكامها ويوجههم ، ويدير دفة الأمور ، وفقاً للنظام الليبرالي* الشائع في الغرب .

7- الاستشراق والمستشرقون :

بدأ الاستشراق بدراسة اللغة العربية والإسلام ، وانتهى – بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق– إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وتقاليده، وحضاراته وجغرافيته وأشهر لغاته ، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية ، هي أهم ما يُعنى به المستشرقين حتى اليوم ، نظراً للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية .

كثرت الدراسات المتصلة بالاستشراق وانتاج المشتشرقين ، وانقسم الباحثون والدارسون العرب والمسلمون في مواقفهم إزاء حركة الاستشراق ، فهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أبعد الحدود وهناك من يرفضه جملة وتفصيلاً .

فالإتجاه الأول مبهور بالحضارة الغربية والتقدم العلمي والتكنولوجي في الغرب ، وبالتالي فإن كل ما يأتي من الغرب لا بد أن يكون من وجهة نظر هذا الاتجاه سليماً وعلمياً وموضوعياً .

ويعبر طه حسين عن هذا الاتجاه فيقول : " وإنما يلمس العلم الآن عند هؤلاء – أي المستشرقين – ولابد من إلتماسه عندهم ، حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ونطير باجنحتناً ، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخناً وآدابناً"[16].

إما الاتجاه الثاني ، فهو إتجاه رافض للحضارة الغربية وإن كان يأخذ بأسباب التقدم العلمي ، ورفضه للاستشراق مبني على أسباب عديدة ، من بينها الظروف التي أدت إلى نشأت الاستشراق ، وارتباط أهدافه في مراحل معبنة بالتبشير ، ومواقفه العدائية ضد الإسلام منذ العصور الوسطى . وكذلك ظروف التصادم العسكري الذي حدث بين الغرب الأوروبي والشرق الإسلامي على مدى قرون عديدة .

وأخيراً في العصر الحديث وما كان من ظروف الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية وإذلاله لشعوبها وتحقيره لدينها وحضارتها . و ما صاحب ذلك من نظرة الاستعلاء الغربية في علاقة الغرب بتلك الشعوب المغلوبة على أمرها .

لقد لعب بعض المستشرقين أدواراً هامة ساعدت الاستعمار الغربي ، وساعدت على ترسيخ نطرة الاستعلاء الغربية . وقد سخروا معلوماته عن الحضارة الإسلامية وتاريخها ضد الإسلام والمسلمين[17]

وهذا واقع مؤلم يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة ، مثل ما اكده المستشرق فرنسيكو غابرييلى : " صحيح إنه وجد بعض المستشرقيتن كعملاء لهذا الاستعمار ، وكادوات له .نذكر من بينهم القناصلة والسفراء، والتجار ، والمبشرين ، والعسكريين ، والتقنيين ، ويمكن أن يحاكموا فردياً إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك "[18] .

ثانياً:الهوية الثقافية والعولمة :

1مفهوم الهوية الثقافية :

تعرف على أنها (هوية) لثقافة معينة ، أو مجتمع محدد ، أو حتى شخص ما على اعتبار أنه سيتأثر بالهوية الثقافية للمجتمع أو حتى المجموعة الثقافية التي ينتمي إليها ويؤمن بها ، وأن مصطلح الهوية الثقافية بحد ذاته متشابه إلى حد كبير مع مصطلح سياسات الهوية ومتقاطع معه ، وقد تطرقت الكثير من الدراسات إلى هذا المفهوم ، وظهر في العقود الأخيرة تعريف أخر غير مفهوم الهوية الثقافية ، كونها تتأثر بالعرق ، والتاريخ ، والمكان ، والجنسية ، والجنس ، واللغة ، والدين ، والأكل ، إضافة إلى الجماليات . وهنا يمكن أن تكون الثقافة ممتازة في بعض الأماكن من الأرض والعكس صحيح[19] .

وعلى ذلك ، تكون الهوية الثقافية هي عبارة عن ثقافة ما ، أو هوية لمجموعة ما ، أو شخص ما نظرا لإمكانية تأثر هذا الشخص بهوية المجموعة الثقافية ، أو ثقافته التي ينتمي إليها .

بمعنى أخر ، فإن الهوية هي ذات الفرد وتتضمن في معناها عددا من القيم والمعايير ، وتشكل ثقافة الإنسان ومدى معرفته في عدد من المجالات المختلفة إضافة إلى المامه ووعيه بالقضايا المحيطة به في المجتمع حيث أنها تمثل التراث الفكري له ، وتبقى أفكار ما لم يتم تطبيقها بالعمل .

2 –العولمة :

المقصود بهذه العولمة هو جعل الشيء عالمي الانتشار من ناحية المدي والتطبيق ، حتى يكون مفهوماً ومناسباً ومتناولاً للجميع ، وتكون العولمة في المرتبة الأولى اقتصادياً ، ثم سياسية ، وتتبعها بعد ذلك في النواحي الاجتماعية ، والثقافية ، كما تمتد العولمة من ناحية أخرى لتكون عملية تحكمية تتضمن وضع مجموعة من القوانين والحواجز التي تربط الدول مع بعضها البعض .

تسعى العولمة حالياً إلى تصدير مجموعة من القيم (الليبرالية الغربية) ، من أجل فرضها على جميع أمم وشعوب الأرض ، حتى يتم الحصول في النهاية على نموذج ثابت للثقافة في العالم بأجمعه بالاعتماد على الثقافة الغربية ، من خلال الانتصار على التجربة الاشتراكية .

ومن هنا يمكن تعريف (العولمة الثقافية) على أنها محاولة مجتمع يمتلك نموذجاً ثقافياً بتعميمه على بقية المجتمعات الأخرى ، وذلك من خلال التأثير على مجموعة من الأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات ، والمفاهيم الحضارية ، إضافة إلى القيم الثقافية ، بالاستعانة بوسائل ثقافية واقتصادية وتقنية مختلفة .

3– علاقة الهوية الثقافية بالعولمة :

الهوية الثقافية هي المعبر الأساسي عن الخصوصية التاريخية لمجموعة ما أو أمة ما ، إضافة إلى نظرة هذه المجموعة أو الأمة إلى الكون والموت والحياة ، إضافة إلى نظرتها للإنسان ومهامه وحدوده وقدراته ، والمسموح له والممنوع عنه .

أذا فالهوية الثقافية والمعرفية ، سواء كانت تلك المعارف تأتي أنطلاقا من تقاليد وعادات في العائلة والمجتمع المحيط به ، عاشها الفرد منذ لحظة ميلاده ، فكانت الأساس في تكوينه طيلة أيام حياته ، وأصبحت جزء من طبيعته ، أو أنطلاقا من الدين .

يوجد بين مفهومي الهوية الثقافية والعولمة مجموعة من العلاقات الجدلية ، المميزة ، والفريدة من نوعها في طبيعة العلاقات التي تربط بين الأشياء والمفاهيم ولكونهما بشكل عام مفهومان متجاذبان ، ومتقاطبان ومتكاملان في نفس الوقت . ومن هنا يكمن اعتبار الهوية هي الطريدة ، وتأخذ العولمة دور الصياد لذلك تعاند الهوية هنا كل أسباب الفناء والذوبان ، مطالبة بالأمن والأمان والاستقرار ، والتشبث بالوجود والديمومة[20] .

في النهاية يمكن القول بإن العولمة تعمل على ذوبان الخصوصية ، من خلال انتقالها من الجزء الخاص إلى العام ، ومن الجهة الجزئية إلى الكلية ، ومن المحدود إلى الشامل ، وعلى العكس من ذلك تأخذ الهوية إتجاه كلياً ومتقاطبا مع مفهومي العمومية والشمولية .

والحقيقة التي لا بد من ذكرها ، أن النظريات التي سادت في المجتمعات الإنسانية في القرن التاسع عشر – والتي أشرنا إليها سابقاً– مثل نظرية دارون وماركس وغيرهما ، إذا كانت قد اثرت في المجتمع الغربي ، فلا بد إنها أيضاً اثرت في المجتمع الشرقي عامة ، والمجتمع الإسلامي خاصة .

الخاتمة :

تتمثل الهوية والثقافة التراثية ، لأي أمة من الأمم ،أحد اهم الأعمدة التي يقوم عليها تاريخها وحضارتها . باعتبارها القاسم الجوهري المشترك من السمات العامة التي تميز ذلك التاريخ وتلك الحضارة وهو ما يبنى عليه لمستقبل واعد مرتكز على أسس وقواعد متينة ، تعطي القوة للأمة وتدفع أبنائها لمزيد من البناء والتطور . وتكتسب الهوية الثقافية للأمم مقدرتها على

البقاء بقدرتها على التطور والتفاعل مع المعطيات الاجتماعية والسياسية والثقافية والتاريخية ، وبما تملكه هذه الهوية من وعي للخصوصية المرنة والانفتاح والاستجابة النقدية

وبلا شك ، فإن أمتناً العربية الإسلامية وعبر تاريخها الطويل الممتد لالآف السنين ، استطاعت تشكيل هويتها الثقافية الخاصة بها ، وحافظت عليها ، رغم ما تعرضت وتتعرض له عبر تاريخها الطويل من محاولات للنيل من تلك الهوية الثقافية .

لذلك لا بد من تفعيل عناصر الهوية الثقافية الوطنية ، وتجديد الثقافة المحلية ، واعتماد التنوع الثقافي ، والمشاركة في بناء الحضارة العالمية في سبيل الحفاظ على هويتنا الوطنية .

الهوامش :

1: محمد غلاب ، الإسلام من خلال مبادئه التأسيسة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1961، ص19.

2: محمد أحمد باش ميل ، الإسلام ونظرية دارون ، بيروت ، 1968 ، ص21 .

3: المرجع نفسه ، ص22 .

4: نديم الجسر ، قصة الإيمان ، دار المعارف ، القاهرة ، ب ت ، ص165 .

5: عباس العقاد ، عقائد المفكرين ، دار المعارف ، القاهرة ، 1960 ، ص120 .

6: أبو الأعلى المودودي ، الإسلام في مواجهة التحديات ، الكويت ، 1971 ، ص19 .

7: عبدالفتاح الديدي ، فلسفة هيجل ، القاهرة ، 1870، ص64 .

8: أبو الأعلى المودودي ، الإسلام في مواجهة التحديات ، مرجع سابق ، ص26- 27 .

9: صلاح الدين المنجد ، المجتمع الإسلامي ، بيروت ، 1969، ص59 .

10: محمد لبيب البوهي ، الوجودية والإسلام ، دار المعارف القاهرة 1960 ، ص18 .

11: موريس كونفورث ، مدخل إلى المادية الجدلية ، بيروت لبنان ، ص85 .

12: محمد البهي ، تهافت الفكر المادي التاريخي بين النظرية والتطبيق ، دار المعارف القاهرة ، 1970 ، ص13 .

*الاشتراكية : في النظرية الماركسية تؤكد أن الاشتراكية ما هي إلا مرحلة انتقالية في الطريق إلى الشيوعية .

13: محمد معروف الدوالبي ، إسلام أمام الرأسمالية والماركسية ، القاهرة ، 1964، ص12 .

14: محمد البهي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ، دار المعارف القاهرة ، 1975، ص237 .

15: المرجع نفسه ، ص21 .

*الليبرالي : أو الليبرالية لفظ له أكثر من مدلول في اللغات الأوروبية ، حتى إنهم اختلفوا في اشتقاق كلمة الليبرالية نفسها: هل هي مأخوذة من كلمة (لبيرتي) التي معناها الحرية ، أو من أصل اسباني . وعلى أي حال فالليبرالية ترتكز على مفهوم التحرر من تدخل الدولة في تصرفات الأفراد ، وهي رد فعل لتسلط الكنيسة في العصور الوسطى .

16: طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، ط10، 1969، ص70 .

17: محمود حمدي زقزوق ، الإسلام في تصورات الغرب ، مكتبة وهبة ، ط1، مصر ،1987، ص8-18 . فرنسيسكو غابريلي ،(ثناء على الاستشراق) في الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت لبنان ،ط1، 1994، ص23 .

19: عبدالجبار الغراز ، كيف تتشكل الهوية الثقافية ، ص27.

20: عميش يوسف عميش ، العولمة والهوية الثقافية ،موقع alrai.cm2021-11-27 تاريخ الزيارة